مركز حرمون
للدراسات المعاصرة
HARMOON
Araştırmalar Merkezi
For Contemporary Studies

آثار القرارات الأميركية في إدارة حزب الاتحاد الديمقراطي في سورية

الكاتب: حسين جلبي

أبحاث سياسية

مركـــز حرمـون
للدراســات المعاصــرة

هو مؤسّسة بحثية وثقافية مستقلة، لا تستهدف الربح، وتُعنى بإنتاج الدراسات والبحوث المتعلقة بالمنطقة العربية، خصوصًا الواقع السوري، وتهتم بالتنمية المجتمعية والفكرية والثقافية والإعلامية، وتعزيز أداء المجتمع المدني، ونشر الوعي الديمقراطي، وتعميم قيم الحوار واحترام حقوق الإنسان.

يحرص المركز على عقد لقاءات حوارية ومناقشات فكرية، حول القضية السورية وما يكتنفها من متغيرات سياسية وإنسانية واجتماعية واقتصادية، وتمتد هذه اللقاءات والمناقشات، لتشمل التأثيرات الإقليمية والدولية، ومواقف الأطراف السورية المختلفة منها، سلطة ومعارضة، مع الرصد الدائم لأدوار الحلفاء الإقليميين والدوليين للفرقاء السوريين، والتقييم المستمر لتطور تلك الأدوار ودرجة فاعليتها في المشهد السوري.

يسعى المركز لأن يكون ميدانًا لتلاقح الأفكار والحوار والتخطيط للبناء، وساحةً للعمل الجدّي المثمر على الصعد كافة، البحثية والسياسية والفكرية والثقافية؛ ويأمل أن يبني علاقة متقدمة بالمجتمع السوري، والعربي عمومًا، تقوم على التأثير الإيجابي فيه والتأثر به في آنٍ معًا.

قسم الدراسات:

يُقدِّم هذا القسم الدراسات العلمية والموضوعية التي تناقش القضايا السورية الأساسية، وتعالج المشكلات الرئيسة، وتقترح الحلول والبدائل المناسبة، وهو مسؤول عن إنتاج المواد البحثيّة العلمية الاجتماعية والاقتصادية والقانونية والثقافية والتربوية، التي تستند إلى جهدٍ بحثيّ أصيل ورصين يتوافق مع أصول العمل البحثيّ العلمي.

يحرص قسم الدراسات على تقديم قراءات للواقع الراهن، ويضع على جدول أعماله إنتاج دراسات من الفئات البحثية كافة، بهدف إعادة بناء المنظومة الفكرية والسياسية والقانونية والثقافية والتربوية في سورية المستقبل، ويستكشف التأثيرات المتبادلة بين السياسة والاقتصاد والقانون والمجتمع والفكر، ويبحث في تأثيرات الحرب السورية وسبل تجاوزها في المستقبل في نظام ديمقراطي تعددي تداولي.

آثار القرارات الأميركية في إدارة حزب الاتحاد الديمقراطي في سورية

حسين جلبي

المحتويات

المقدمة 3

أولًا: القرار الأميركي بالاستعانة بوحدات حماية الشعب لمحاربة تنظيم داعش 4

ثانيًا: القرار الأميركي بالتخلي عن حزب الاتحاد الديمقراطي في عفرين 5

1. الصراع على عفرين 5
2. النأي الأميركي بالنفس في عفرين 6
3. العملية العسكرية التركية في عفرين 7

ثالثًا: قرار الرئيس الأميركي سحب قوات بلاده من سورية 9

1. قرار سحب القوات الأميركية من سورية 9
2. انعكاسات قرار الرئيس الأميركي على الأطراف الكُردية 10
3. توجه حزب الاتحاد الديمقراطي إلى نظام الأسد 10
4. انفتاح خجول على الكُرد 12

رابعًا: الدعم الأميركي لمنطقة تركية آمنة في منطقة شرق الفرات السورية 14

1. فكرة المنطقة الآمنة في شرق نهر الفرات 14
2. الاتفاق التركي الأميركي على المنطقة الآمنة 15
3. اتفاق المنطقة الآمنة يمهد لعملية عسكرية تركية في منطقة شرق الفرات 16

خامسًا: الانسحاب الأميركي من المنطقة الحدودية السوريةوإخراج قوات سوريا الديمقراطية منها 18

1. عملية (نبع السلام) العسكرية التركية في منطقة شرق الفرات السورية 18
2. الاتفاق الأميركي التركي لإخراج حزب الاتحاد الديمقراطي من المنطقة الآمنة 19
3. وصول الجيش التركي إلى الحد الجنوبي للمنطقة الآمنة (الطريق الدولي M4) 21
4. عودة نظام الأسد إلى مناطق الإدارة الذاتية 22

الخاتمة 24

المقدمة

عندما بدأ الأميركيون تدخلهم العسكري في سورية في أواخر آب/ أغسطس 2013، ضمن إطار عمليات التحالف الدولي لمحاربة تنظيم داعش، شُكّل تحالف الأمر الواقع بين القوات الأميركية ووحدات حماية الشعب التابعة لحزب الاتحاد الديمقراطي على أساس تقاطع الهدف أو وحدته، مباشرةً بعد بدء الطيران الأميركي قصف مواقع التنظيم في مدينة كوباني/ عين العرب في شمال سورية التي كانت الوحدات التابعة للحزب تواجه زحفه عليها، وتدافع عن الأمتار المربعة القليلة التي بقيت تحت سيطرتها، بعد تمكن داعش من السيطرة على القسم الأكبر من المدينة في أيام قليلة.

قررت القوات الأميركية بعد هزيمة التنظيم في كوباني في نهاية كانون الثاني/ يناير 2014، فتح جبهة برية ضده بالاعتماد على وحدات حماية الشعب -من أجل متابعة تنفيذ خططها في محاربة تنظيم داعش محاربة فاعلة، وبسبب صعوبة تحقيق ذلك من خلال القصف الجوي وحده- بعد أن أثبتت الجبهة البرية فاعليتها في محاربته، في حال توفر غطاء جوي، إذ أمكنها تعويض عدم نشر التحالف قواته البرية لمواجهة التنظيم، وجنبت دوله وقوع خسائر بشرية في صفوفها.

يتناول هذا البحث القرارات الأميركية المؤثرة في حزب الاتحاد الديمقراطي وإدارته ووحداته العسكرية، وآثار تلك القرارات في مناطق نفوذه والمنطقة عمومًا، وحصاد الحزب منذ اتخاذ القوات الأميركية قرارها بإشراكه في حرب التحالف الدولي على تنظيم داعش في سورية، وهي الشراكة التي بدا في أول وهلة أنها ستخرج الحزب من الحيز الكُردي وتفتح آفاقًا جديدة أمامه، بحيث ستضع الإدارة الذاتية الديمقراطية التي كان أعلنها في المناطق الكُردية السورية على طريق الاعتراف بها، الأمر الذي سيحقق في الحصيلة اعترافًا ما بحقوق الكُرد في سورية.

أبعد من ذلك، سيتبين من خلال البحث أن العلاقة التي جمعت القوات الأميركية في سورية بالوحدات العسكرية التابعة لحزب الاتحاد الديمقراطي -خصوصًا توقيت التدخل الأميركي لمصلحة الحزب في مدينة كوباني/ عين العرب، وما انتهت إليه- تصلح أن تكون نموذجًا للعلاقات التي جمعت القوى الإقليمية والدولية باللاعبين المحليين أو المجموعات المسلحة في سورية ومنها نظام الأسد، وكيف استخدمت تلك القوى سياسة حافة الهاوية مع هؤلاء اللاعبين، الأمر الذي لم يضطرهم إلى تسليم بعض أوراقهم إلى تلك القوى والتخلي عن بعض أهدافهم لمصلحتها فحسب، بل إلى التحول إلى محض أوراق في يدها، تستخدمها لتحقيق مصالحها داخل سورية وخارجها، حيث أصبح الحزب من جهته رهينة قرار الحرب على التنظيم، بحيث لم يملك سوى الانصياع للقرارات الأميركية ذات الصلة، والتفاعل مع خريطة تحركات القوات الأميركية في سورية، حتى إذا كان ذلك على حساب نفوذه ووجوده.

أولًا: القرار الأميركي بالاستعانة بوحدات حماية الشعب لمحاربة تنظيم داعش

شُكل تحالف الأمر الواقع بين القوات الأميركية ووحدات حماية الشعب التابعة لحزب الاتحاد الديمقراطي في مدينة كوباني/ عين العرب استنادًا إلى محاربة تنظيم داعش في سورية، بعد مهاجمة التنظيم المدينة في أيلول/ سبتمبر 2013، واكتساح ريفها والسيطرة على معظم أحيائها، ومن ثم تعرضه لقصف جوي من طيران التحالف، في وقت كان فيه بضع مئات من عناصر الوحدات يقاومون زحفه، في مساحة صغيرة من المدينة بقيت تحت سيطرتهم، قبل أن تنضم إليهم قوة من بيشمركة كُردستان، قادمة بأسلحتها من إقليم كُردستان العراق، دخلت عبر الحدود التركية إلى المدينة، وتمكنوا جميعًا من وقف هجوم التنظيم ورده على أعقابه.

انطلقت من بين أنقاض مدينة كوباني/ عين العرب التي شهدت أولى الهزائم الكُبرى لتنظيم داعش في سورية، أُولى الهجمات المنظمة تجاه معاقله في البلاد، وقد أكسبتها المجزرة الغامضة التي وقعت في المدينة بعد أشهر قليلة من تحريرها، أبعادًا عاطفية انتقامية، تقول بعدم تحقق الأمن والسلام للكُرد ما دام التنظيم موجودًا، حتى كادت تغيب الأصوات المعترضة على الدخول في مغامرة عسكرية غير معروفة العواقب بقيادة الأميركيين، كان حصادها اليومي خسائر بشرية في صفوف المقاتلين الكُرد، من دون أن تُترجم إلى مكاسب سياسية للحزب أو حاضنته الكُردية القسرية.

بقيت المساعدات الأميركية لحزب الاتحاد الديمقراطي تقتصر على الجانب العسكري وحده، تدريبًا وتسليحًا وتمويلًا، بما يخدم الهدف المشترك في محاربة تنظيم داعش والقضاء عليه، من دون أن يجري العمل على تحقيق أهداف الحزب البعيدة أو القريبة، وعلى رأسها تطبيع وضع حزب العمال الكُردستاني ودمجه في نسيج المنطقة، وهو الحزب الكُردي التركي المؤسس لحزب الاتحاد الديمقراطي؛ بحيث يعدّ الأخير فرعه السوري، الموجود على اللائحة الأوروبية للمنظمات الإرهابية، أو الاعتراف بإدارة الحزب المعلنة في المنطقة، أو إقامة علاقات في المستوى السياسي معه، أو حتى توفير حماية له أو لمناطق نفوذه خارج هدف محاربة تنظيم داعش[1].

(1) وقعت مجزرة كوباني في الخامس والعشرين من حزيران/ يونيو 2014، وقال حزب الاتحاد الديمقراطي إن عناصر من تنظيم داعش الذين يتقنون اللغة الكُردية، تمكنوا من التنكر بزي وحدات حماية الشعب، والعبور على حواجزها ليلًا إلى داخل مدينة كوباني/ عين العرب، حيث قتلوا مئات المدنيين بعد دعوتهم إلى الخروج من بيوتهم، أو اقتحامها بعد فتح الأبواب لهم. لم يجرِ تحقيق في المجزرة، وقال الحزب إنه تمكن من قتل جميع المهاجمين.

ثانيًا: القرار الأميركي بالتخلي عن حزب الاتحاد الديمقراطي في عفرين

1. الصراع على عفرين

تحولت منطقة عفرين إلى أهم معاقل حزب الاتحاد الديمقراطي، وشكلت مصدرًا مهمًا للتمويل وخزانًا بشريًا لرفده بالمجندين بعد إحكام سيطرته عليها، ضمن ما أطلق عليه «ثورة روج آفا» التي فرض بعدها نفوذه على المناطق الكُردية السورية، وقال إنها انطلقت من مدينة كوباني/ عين العرب في تموز/ يوليو 2012، وقد لعبت عوامل عدة دورها في ذلك، منها سحب نظام الأسد إدارته من المنطقة، وفشل كل محاولات الكُرد لمنع الحزب من الاستفراد بحكمهم، وعزل عفرين عن المناطق الكُردية الأُخرى ووقوعها وسط محيط غير آمن، يتشكل من فصائل المعارضة السورية شرقًا وغربًا والحدود التركية شمالًا، إضافة إلى مناطق سيطرة نظام الأسد في بلدتي نبل والزهراء جنوبًا، بحيث لم يبقَ للكُرد شبه المحاصرين فيها، سوى الحزب ملجأ قسريًا لحماية أنفسهم، وبخاصة مع نجاحه في إقصاء البدائل الأُخرى الممكنة وعلى رأسها المجلس الوطني الكُردي.

بدا الأتراك قلقين مما يجري قبالة حدودهم الجنوبية، بعد تنامي قوة الحزب العسكرية وتحول الكانتونات التي أعلن عنها إلى عقبة، تحول دون سيطرة فصائل المعارضة السورية الموالية لهم بشكلٍ كامل على حدودهم مع سورية، بعد تجاهل طويل أظهروه تجاه نشاط حزب الاتحاد الديمقراطي في المنطقة، كالتظاهرات الموجهة ضدهم منذ بداية الثورة السورية على الرغم من خلوّها من عنوان كُردي سوري، أتت هذه التظاهرات التزامًا بأجندة حزب العمال الكُردستاني الذي يقاتلهم منذ عقود، لقد رأى الأتراك أن منطقة عفرين -مثلها مثل عموم محافظة حلب مجالهم الحيوي- شديدة الشبه بأراضيهم، وأرادوا الشريط الحدودي حزام أمان، يحميهم من تداعيات ما يجري في سورية، بعد تصاعد الصوت القومي الكُردي فيه.

اصطدمت فصائل المعارضة السورية من جهتها بحزب الاتحاد الديمقراطي كثيرًا، بسبب صراعها مع النظام وسعيها إلى السيطرة على المناطق الخارجة على سيطرته، ومزاحمة الحزب لها من جهته ومسارعته للسيطرة عليها. ظهر الصراع بين الطرفين في محافظة حلب، عندما حال الحزب دون توسع سيطرة المعارضة عليها ووصولها إلى مناطق وجوده في الأحياء ذات الأكثرية الكُردية من المدينة. وعلى الرغم من الحصار الطويل الذي فرضته فصائل المعارضة السورية على بلدتي «نبل والزهراء» الموالتين لنظام الأسد في ريف حلب الشمالي، فقد فشلت في السيطرة عليهما، بسبب إرسال النظام الأسلحة والإمدادات إليهما جوًا، وتزويدهما بها عبر الممر الذي يوصلهما بمدينة عفرين. لقد انعكست النزاعات التي دخلها حزب الاتحاد الديمقراطي مع كتائب المعارضة السورية على وضع الكُرد في مناطقهم، وجعل تلك الفصائل تتحين الفرص للانقضاض عليهم بداعي تصفية حسابها مع الحزب، خصوصًا بعد قيام الأتراك بدعمها، لكن دعم التحالف الدولي لمحاربة تنظيم داعش للحزب وتحالفه معه، حال دون تفكيرها بمهاجمته أو أجَّل هجومها عليه، انتظارًا لفرصة مناسبة.

2. النأي الأميركي بالنفس في عفرين

كانت القوات الأميركية في سورية، من المحركات الأساسية للصراع على منطقة عفرين وتأجيجه بتعزيز سيطرة حزب الاتحاد الديمقراطي على المنطقة، من أجل الاستفادة منها في تغذية الحرب على تنظيم داعش، علاوة على استخدام إجراءات الحزب التصعيدية تجاه تركيا ورقة ضغط عليها في ملفات عدة منها تجارة الأسلحة. فقد دعمت القوات الأميركية الحزب الذي جند المقاتلين، ووضع معظمهم في تصرف أجندتها في محاربة داعش، وقدمت القواعد الأميركية الموجودة في المنطقة، التدريب والعتاد لوحدات حماية الشعب التابعة له. استمر حزب الاتحاد الديمقراطي بعد سنوات من سيطرته على منطقة عفرين في تنفيذ سياسات تصعيدية لا تأخذ بالحسبان التغييرات الجذرية في سورية التي أخذت تؤدي إلى تغير أولويات الأطراف المتصارعة، كالتراجع المستمر لتنظيم داعش تحت ضربات التحالف الدولي ووحدات الحزب نفسها، واستعادة نظام الأسد السيطرة على مناطق واسعة كان خسرها، وخصوصًا فك حصار فصائل المعارضة عن بلدتي نبل والزهراء القريبتين من عفرين، وهو الأمر الذي جعل إدارة الحزب في عفرين تفقد أهميتها.

تحرك الأتراك لتحجيم حزب الاتحاد الديمقراطي بدعم فصائل المعارضة في مناطق سيطرتها بريف حلب الشمالي، الأمر الذي شكل حائط صد لوقف تمدد الحزب باتجاه الغرب انطلاقًا من عفرين، ومن ثم المسارعة إلى طرد تنظيم داعش في منطقة جرابلس في شرق عفرين، لمنع الحزب من التقدم والسيطرة عليها، ما أدى إلى قطع تواصل عفرين مع المناطق الكُردية السورية في الشرق، وجعلها لا تبدو واقعة بين فكي كماشة شرقًا وغربًا فحسب، بل محاصرة من ثلاث جهات، إذ أُضيف إلى الوقائع الجديدة موقعها على الحدود التركية شمالًا، بحيث بقي لها ممر وحيد يربطها بمناطق سيطرة نظام الأسد جنوبًا[2]. تجاهلت الإدارة الأميركية المشهد في عفرين، وتحول الصراع عليها إلى ثنائي، بين حزب الاتحاد الديمقراطي والجيش التركي الذي يعتمد على فصائل من المعارضة السورية في المنطقة. توصل الأميركيون إلى حلول مشتركة لعدد من الملفات العالقة مع الأتراك أو جمدوها، وظهروا في نهاية المطاف كأنهم يغضون النظر عن عملية عسكرية تركية في عفرين لم تعد تعني كثيرًا في إستراتيجية محاربة داعش الذي أصبح محاصرًا في بقعة جغرافية محدودة[3].

بدأت تركيا تسوق لعملية عسكرية في منطقة عفرين، بداعي «تطهير حدودها من الإرهاب وتسليم المنطقة إلى أهلها الأصليين»، وهكذا صعَّدت من لهجتها بالتزامن مع تصعيد عبر الحدود، عبر عمليات قصف لمواقع وحدات حماية الشعب، أخذت تزداد مع مرور الوقت، حتى أخذت تطرح خططًا مختلفة لعملية عسكرية في منطقة عفرين. وعندما وصل التصعيد إلى نقطة الذروة في منتصف كانون الثاني/ يناير 2018، تخلى الأميركيون عن الحزب صراحة، عندما أعلنوا أن: «عفرين ليست ضمن مجال مسؤوليتهم، وأن قوات

(2) أطلق الجيش التركي في نهاية آب/ أغسطس 2016، عملية «درع الفرات» لتحرير جرابلس من تنظيم داعش، وقد تمكن بالتعاون مع الجيش السوري الحر من طرد التنظيم من المدينة التي كانت تشكل آخر معاقله على الحدود التركية. وسائل إعلام تركية.

(3) من القضايا التي عكرت صفو العلاقات الأميركية التركية، قضية القس الأميركي أندرو برونسون الذي اعتقل في تركيا بعد ثلاثة أشهر؛ من عمليات التطهير التي كانت تشهدها البلاد بعد محاولة الانقلاب الفاشلة في تركيا 2016، ما تسبب في أزمة دبلوماسية بين أميركا وتركيا. اتهمته السلطات التركية بالانتماء إلى «الدولة العميقة» في تركيا، ومن ثم المشاركة في محاولة الانقلاب التي شهدتها. طالبت أميركا بإطلاق سراحه، وهدد الرئيس الأميركي بعقوبات اقتصادية على تركيا، الأمر الذي تسبب في تراجع العملة التركية وخسائر مالية كبيرة. أقدمت تركيا على إطلاق سراحه في تشرين الأول/ أكتوبر 2018، بعد أن خضع للإقامة الجبرية.

الحزب الموجودة في المنطقة، ليست من عداد القوات المتحالفة معهم، ويدرّبونها لمحاربة داعش[4]»، على الرغم من أن الجيش الأميركي أعلن قبل ذلك بأيام قليلة، عن عزمه على تأسيس (جيش شمال سورية) وقوامه ثلاثين ألف عنصر، وذلك: (للمرابطة على الحدود وحماية حدود شمال سورية)، بحسب ما أعلن حزب الاتحاد الديمقراطي الذي قال إن الجيش العتيد قد بُدئ تشكيله بالفعل منذ بعض الوقت، وأن: «نصفه سيتشكل من المسلحين المحترفين في صفوفه، ونصفه الآخر من العناصر الجدد». وعلى الرغم من إعلان الأميركان بعد احتجاجات تركية، إلغاء مشروع الجيش ذي الثلاثين ألف عنصر من أساسه، كان الشرارة التي أطلقت الهجوم العسكري التركي على عفرين[5].

3. العملية العسكرية التركية في عفرين

بدأ الجيش التركي في التاسع عشر من كانون الثاني/ يناير 2018، عملية عسكرية باسم (غصن الزيتون) في عفرين، ونجحت العملية التي شاركت فيها فصائل من المعارضة السورية في إخراج حزب الاتحاد الديمقراطي من المنطقة بعد أقل من شهرين من بدئها. خسر الحزب بهزيمته في منطقة عفرين مساحة تقدر بثلث المناطق الكُردية السورية التي يسيطر عليها، بينما فقد الكُرد واحدة من مناطقهم الرئيسية الثلاث في سورية، وركنًا رئيسيًا من أركان وجودهم القومي في البلاد، ولم يبق لهم سوى منطقتي كوباني/ عين العرب التي تنعقد السيطرة عليها للحزب، والجزيرة التي يشارك نظام الأسد في السيطرة عليها، إذ يسيطر النظام على المواقع الإستراتيجية والمدن المهمة أو الأحياء المهمة فيها، بينما يتشارك الحزب مع فصائل موالية للنظام أو متحالفة معه السيطرة على ما تبقى خارج ذلك. لقد سقطت إدارة حزب الاتحاد الديمقراطي (الإدارة الذاتية الديمقراطية) في عفرين، وانتهى نفوذه في المنطقة كلها، ليقطع الكُرد في منطقة عفرين بذلك مع الماضي، ويبدؤوا تاريخًا جديدًا، لا تنتمي فيه منطقتهم لأول مرة منذ مئة عام إلى الدولة السورية، ولا يخضعون فيه لسيادة النظام في سورية أو لإدارة حزب الاتحاد الديمقراطي التي كانت تعمل ضمن فضائه، وقد أصبحت عفرين مفتوحةً على الأراضي التركية وترتبط بها[6].

إضافة إلى الخسائر البشرية التي مني بها الكُرد في العملية التركية التي دامت شهرين، وبخاصة في صفوف المقاتلين في وحدات حماية الشعب التابعة لحزب الاتحاد الديمقراطي التي قدرتها البيانات العسكرية بأكثر من أربعة آلاف مقاتل، والخسائر المادية الكبيرة التي طالت ممتلكات المدنيين، كان لخسارة الحزب منطقة عفرين معنى أعمق من فقدانه مساحة جغرافية، يمكن تعويضها في مكانٍ آخر أو استعادتها بشكلها الذي كانت عليه ثانيةً، فقد خسر الحزب في أسابيع قليلة خزانه البشري والمالي في المنطقة، وبخاصة بخسارة حاضنته التي تضم نحو نصف مليون نسمة، وتزوده بالمقاتلين وتدر عليه كثيرًا من المال مقابل الخدمات المختلفة التي يقدمها لها، وخسر استثماراته في مختلف القطاعات، وهي في مجملها خسائر لم يستطع تعويضها بالسيطرة على مناطق تنظيم داعش وتعيين إدارات موالية فيها، ذلك أن تلك المناطق لا تعدّ

(4) المتحدث باسم التحالف الدولي العقيد ريان ديلون: «منطقة العملية التركية في عفرين تقع خارج نطاق مسؤولية التحالف»، موقع التحالف الدولي، 2018.01.16.

(5) موقع قوات الحماية الذاتية التي يترأسها سيامند ولات «القائد العام لقوات الدفاع الذاتي في شمال سورية»: «سيامند ولات لوكالة هاوار: جيش شمال سورية إثبات لإرادة شعوب الشمال السوري». 2017.12.30.

(6) هذا إذا أخذنا بالحسبان أن مساحة عفرين تبلغ 3850كم2 ومساحة كوباني/ عين العرب 2730كم^2، مع عدم سيطرة الحزب على منطقة الجزيرة بشكل كامل.

حاضنة للحزب، وتثير سيطرته عليها اعتراضات من جهات عدة أولاها سكانها العرب، ووجوده فيها مؤقت، جاء ضمن عمليات التحالف الدولي لمحاربة داعش، وتسيير الأمور مؤقتًا انتظارًا لحل نهائي. على الرغم من ذلك حاول حزب الاتحاد الديمقراطي خلق بديل من عفرين، بعد أن أخرج مئات آلاف المدنيين من المدينة عشية انسحابه منها، ووطنهم في منطقة الشهباء بالريف الحلبي الواقعة تحت سيطرة نظام الأسد، بعد أن بنى لهم أربع مخيمات هناك، أسماها (مخيمات المقاومة)، وفرض حراسة مشددة على الكُرد فيها ومنعهم من مغادرتها، متذرعًا بأن على هؤلاء البقاء حيث هم، إلى أن: «يحرر الحزب عفرين من الاحتلال»[7].

أسقطت معركة عفرين الأسطورة التي نسجها حزب الاتحاد الديمقراطي عن نفسه منذ بداية الثورة السورية بوصفه الحزب العصي على الهزيمة، حيث التصق به الانتصار منذ اللحظة الأولى التي ظهر فيها في المناطق الكردية السورية، إذ صورته وسائل الإعلام الكثيرة التي امتلكها، وأتقنت فن الخطابة وتفننت بالصورة للتلاعب بالعواطف. أظهرت معركة عفرين من جهة أُخرى، حزب الاتحاد الديمقراطي وحيدًا من دون حلفاء، بعد أن سوَّق نفسه طوال الوقت، حليفًا أساسيًا لقوى إقليمية ودولية وازنة لن تستغني عنه، ويمتلك فوق ذلك تأثيرًا كبيرًا فيها، إلى درجة تمنعها من التفريط به. فقد تخلت دول التحالف الدولي لمحاربة داعش عن الحزب في عفرين، مع أنه قاتل من أجلها طوال الوقت وجنّبها الخسائر البشرية، بعد أن استعانت به لخوض المعركة البرية على مواقع التنظيم، ليظهر بذلك أنها لا تهتم لأمر تعزيز قدراته القتالية إلّا لتحقيق أجندتها، وهو الأمر الذي أكدته تلك الدول مرارًا.

(7) الرئيس المشترك لحركة المجتمع الديمقراطي آلدار خليل: «أدعو النازحين من عفرين إلى المقاومة وعدم العودة إلى منازلهم، حيث تحولت مدينة عفرين إلى قفص مغلق، بسبب سيطرة الجيش التركي والفصائل المسلحة الموالية له على المدينة».. لقاء مع قناة روناهي التابعة لحزب العمال الكُردستاني.

ثالثًا: قرار الرئيس الأميركي سحب قوات بلاده من سورية

1. قرار سحب القوات الأميركية من سورية

بعد النجاح في هزيمة داعش في مدينة كوباني/عين العرب، بدأت القوات الأميركية بإنشاء قواعد عسكرية -ضمنها مطارات- في مناطق سيطرة وحدات حماية الشعب التي شاركتها قتال داعش في المدينة، وتابعت قتاله تحت راية التحالف الدولي الذي تتزعمه. أرسل الجيش الأميركي جنودًا إلى القواعد التي أقامها، للعمل على تدريب عناصر الوحدات على قتال داعش، وبخاصة على الأسلحة والمعدات العسكرية الحديثة التي زودتها بها، والتنسيق معها لتنفيذ الخطط القتالية التي تضعها، وقد وصل عدد القوات الأميركية في الأراضي السورية إلى 2200 عنصر، انتشروا في أكثر من خمس عشرة قاعدة عسكرية، يقع أكثرها في شمال شرق سورية، إضافة إلى قاعدة رئيسية على الحدود الأُردنية جنوب البلاد[8].

كانت الحرب على تنظيم داعش قد أحرزت تقدمًا كبيرًا، وتكاد تبلغ نهايتها، إذ لم يبقَ له وجودٌ يذكر، سوى في شريط ضيق على الضفة الغربية لنهر الفرات، يمتد مسافة 40 كيلومترًا بين بلدتي (هجين) شمالًا و(الباغوز) جنوبًا في محافظة دير الزور، عندما كتب الرئيس الأميركي دونالد ترامب، تغريدةً على صفحته على موقع التواصل الاجتماعي (تويتر)، في التاسع عشر من كانون الأول/ يناير 2018، أعلن فيها قراره سحب القوات الأميركية من سورية. جاء في تغريدة الرئيس الأميركي على (تويتر): «هزمنا تنظيم الدولة الإسلامية في سورية، وكان هذا مبرري الوحيد للوجود هناك خلال رئاستي». بعد ذلك بقليل، أصدر البيت الأبيض الأميركي بيانًا، أكد فيه قرار الرئيس ترامب، وجاء في بيانه: «بدأنا بإعادة القوات الأميركية إلى الوطن، فيما ننتقل إلى مرحلة جديدة من هذه الحملة، وهذه الانتصارات على داعش في سورية ليست مؤشرًا على نهاية التحالف الدولي أو حملته. سنستمر في العمل معًا لمنع سيطرة داعش على أي أراض جديدة، أو الحصول على دعم أو تمويل يسمح للتنظيم الإرهابي بعبور حدودنا». جاء هذا في عقب ذلك صدور بيان من وزارة الدفاع الأميركية (البنتاغون)، أكدت فيه بدورها على سحب القوات الأميركية المنتشرة في سورية، والانتقال إلى: «مرحلة جديدة من التعاون مع شركاء الولايات المتحدة في المنطقة».

خلط إعلان الرئيس الأميركي سحب قوات بلاده من سورية الأوراق في المنطقة، وقلب الأوضاع فيها عقبًا على رأس، وطرح سؤالًا جوهريًا حول مصيرها، والقوة التي يمكن أن ترث مناطق النفوذ الأميركي، وتسد الفراغ الذي سيخلفه انسحاب القوات الأميركية منها. كانت تركيا على رأس قائمة المستفيدين من القرار الأميركي، الذي جاء بعد مكالمة هاتفية بين الرئيسين الأميركي والتركي[9]، فقد فتح القرار الباب لها لتثبيت

(8) تمتلك القوات الأميركية 16 قاعدة عسكرية في سورية، أكبرها بحسب موقع زمان الوصل قاعدة الشدَّادي المجاورة لحقول النفط في الجبسة والكبيبة، وتعد معسكرًا لقوات المارينز وقاعدة جوية ومركز إمداد، أما القاعدة المشتركة الكبرى للقوات الأميركية وقوات التحالف فتقع في معسكر لافارج.

(9) صحيفة (وول ستريت جورنال) الأميركية: «القرار يأتي بعد مكالمة هاتفية بين ترامب ونظيره التركي رجب طيب أردوغان الذي هدد بشن هجوم على وحدات حماية الشعب الكُردية، المكون الرئيس لقوات سوريا الديمقراطية التي تدعمها الولايات المتحدة في حربها ضد تنظيم داعش.

أركان وجودها في شمال سورية، وتنفيذ خطط السيطرة على مزيد من المناطق هناك، لتفتيت الوجود الكُردي فيها بذريعة محاربة حزب العمال الكُردستاني. وسيزيح في حال تنفيذه، منافس روسيا الوحيد في سورية، وسيفتح للروس الطريق للاستفراد التام بالبلاد. وجاء القرار، مثله مثل حرب التحالف الدولي على تنظيم داعش هدية أُخرى لنظام الأسد، إذ سيهيئ له الظروف لبسط نفوذه بهدوء على المنطقة، بعد أن حجَّمت عمليات التحالف الدولي التنظيم الذي استفاد منه النظام في رحلة صعوده وهبوطه. بينما حرم القرار الأميركي بالانسحاب من سورية حزب الاتحاد الديمقراطي من القشة الوحيدة التي كان يتمسك بها، وجعل وجوده في المنطقة في مهب الريح، ووضع مصير الكُرد ومناطقهم في سورية على طريق المجهول، وأثار مخاوفهم من تكرار تجربة عفرين، خصوصًا في ظل التهديدات التركية المستمرة بتوسيع عمليتها العسكرية في المنطقة، لتشمل كامل الشريط الحدودي الشمالي السوري حتى حدود إقليم كُردستان العراق، وهي في الواقع مناطق الوجود الكُردي في سورية.

2. انعكاسات قرار الرئيس الأميركي على الأطراف الكُردية

كان لدى الكرد شعورٌ شبه عام بأن قرار الرئيس الأميركي بالانسحاب من سورية طعنة في الظهر وجهها لهم الأميركيون، وأن القرار خيانة للدماء الكُردية التي سالت بدلًا من دماء الجنود الأميركيين ومن أجل حمايتهم، على الرغم من أن الأميركيين لم يعدوا الكُرد بشيء، ولم يتوقفوا عن التذكير بأن علاقاتهم مع حزب الاتحاد الديمقراطي تنحصر في التعاون العسكري بين قوتهم في سورية وقوات الحزب بهدف محاربة تنظيم داعش، لقد كان قرار الرئيس الأميركي المفاجئ بالانسحاب من سورية جرس إنذار متأخر للقوى الكُردية المختلفة، فهو لم يعطها الفرصة لإعادة حساباتها والعمل على تجنب آثاره التي بدت مدمرة، خصوصًا أنها لم تضع مثل ذلك القرار في الحسبان يومًا ولم تفكر في بدائل.

أعرب حزب الاتحاد الديمقراطي الذي صدمه القرار الأميركي وجعله مكشوفًا عن خيبته، وأظهر مخاوفه من تداعياته التي قال إن من ضمنها تعرض المنطقة لهجمات إرهابية، بسبب الفراغ الذي سيحدثه الانسحاب الأميركي. لكن الحزب حاول إظهار نفسه متماسكًا، فأعلن أن صعوده في المنطقة لم يكن مرتبطًا بالوجود الأميركي أساسًا، إلا أنه حاول العمل أيضًا على تأخير تنفيذ القرار، بالقول إنه سيؤثر سلبًا في حملة مكافحة الإرهاب، وعلى الأمن والاستقرار في المنطقة[10]. لكن قوات سوريا الديمقراطية التابعة للحزب، ذهبت إلى حد التهديد بوقف محاربة تنظيم داعش، إذا ما استغلت تركيا الانسحاب الأميركي، وعمدت إلى مهاجمة الحزب في مناطق شرق الفرات، وأخذت تروج أنباء عن نية قوات قسد إطلاق سراح عناصر تنظيم داعش المحتجزين لديها[11].

(10) بيان قوات سوريا الديمقراطية في 2018.12.20: «إن قرار البيت الأبيض القاضي بالانسحاب من شمال سورية وشرقها، سيؤثر سلبًا في حملة مكافحة الإرهاب، وسيكون مخيبًا لآمال شعوب المنطقة في الأمن والاستقرار، وستكون للانسحاب الأميركي تداعيات خطرة تؤثر في الاستقرار والسلم العالمي، وسيؤدي إلى خلق فراغ سياسي وعسكري في المنطقة وترك شعوبها بين مخالب القوى والجهات المعادية».

(11) إلهام أحمد، (رئيسة الهيئة التنفيذية لمجلس سورية الديمقراطية. مسد): «أي عملية عسكرية تقوم بها تركيا، ستجبر قوات قسد على الانسحاب من نقاط المعارك في دير الزور، لحماية الحدود السورية. وقوات سوريا الديمقراطية في شمالي سورية، قد لا تتمكن من مواصلة اعتقال سجناء داعش إذا خرج الوضع في المنطقة عن السيطرة». موقع باسنيوز. مؤتمر صحافي في باريس، في 2018.12.21.

3. توجه حزب الاتحاد الديمقراطي إلى نظام الأسد

في مواجهة قرار الرئيس الأميركي سحب قوات بلاده من سورية، فتح حزب الاتحاد الديمقراطي مزيدًا من خطوط الاتصال مع نظام الأسد، ولم يعد يقتصر على التواصل المباشر معه الذي بدأه منذ العملية العسكرية التركية في عفرين، بل أخذ يحاول القيام بذلك عبر وسطاء. أعلن (مجلس سوريا الديمقراطي) التابع لحزب الاتحاد الديمقراطي، عن فتح خطوط اتصال مع مصر من أجل توسيطها لدى نظام الأسد، في وقت أُعلن فيه عن زيارات متبادلة، لمسؤولين في المخابرات السورية والمصرية، لبحث: «فرص الحل السياسي، والمساهمة في وقف التصعيد العسكري في منطقة شرق سورية»[12]، وحاولت قوات سوريا الديمقراطية التابعة للحزب، توسيط روسيا لدى النظام، فقدمت عبرها خريطة طريق لمنطقة منبج، تتضمن اقتراحًا بسيطرة قوات النظام على الحدود السورية التركية ودخول منبج[13]، قائلة إنها ستعمل على وضع حل واقعي يحفظ حقوق أهل المنطقة، ومن ثم تعميم التجربة على باقي مناطق شرق الفرات التي تسيطر عليها[14]، وقد وصل الأمر بقوات قسد، إلى حد توسيط حزب الله اللبناني، وفق ما أعلن عنه أمينه العام[15]. وتأكيد موقفها الجديد الذي أصبحت تعلنه مؤخرًا، حول الانتماء إلى الدولة السورية التي يقودها نظام الأسد، دعت وحدات حماية الشعب التابعة لحزب الاتحاد الديمقراطي، الجيش السوري إلى دخول مدينة منبج التي تسيطر عليها، وكانت محل نزاع متواصل بين مختلف الأطراف، وبخاصة بين الحزب وتركيا[16].

أمام موقف نظام الأسد الرافض مقترحات حزب الاتحاد الديمقراطي، وإصراره على إعادة الأوضاع في المناطق الكُردية السورية إلى ما قبل آذار/ مارس 2011، تابع الحزب تحركه على أكثر من جهة، فأرسل الوفود إلى روسيا وفرنسا والعراق وإقليم كُردستان وحتى مصر، لإنقاذ نفسه من الخطر المحدق، والسعي لدى تلك الأطراف إلى الضغط على نظام الأسد، وجعله يعترف بالإدارة المعلنة، أو للحصول على مكسب ما، أي شيء يمكنه أن يلوح به أمام أنصاره ومنتقديه معًا، ليقول لهم إن: «الغرض النهائي لكل تحركاته هو الاتفاق مع دمشق، وبأن الإدارة الذاتية ستعمل على تحقيق ذلك مهما كان الثمن، حتى مع معارضة الأميركيين»[17]. في روسيا، طرح حزب PYD (خريطة طريق) للاتفاق مع نظام الأسد، وكانت الأهداف الرئيسية لها: «حماية الحدود السورية من تركيا، وإيجاد سبيل لإدماج هياكل الحكم في شمال سورية في الدستور

(12) إلهام أحمد في تصريح لصحيفة العرب اللندنية، الأربعاء، 2018.01.26.

(13) مستشار الإدارة الذاتية الديمقراطية في شمال سورية وشرقها، بدران جياكرد لوكالة رويترز: «روسيا وافقت على التوسط، والكرد يرون أن روسيا تحاول فتح آفاق جديدة مع النظام». 2018.01.11.

(14) القيادي في قوات قسد ريدور خليل، لوكالة فرانس برس: «هناك مفاوضات مستمرة مع الحكومة، للتوصل الى صيغة نهائية لإدارة شؤون مدينة منبج». 2019.01.05.

(15) ذكر الأمين العام لحزب الله، حسن نصر الله في لقاء مع قناة الميادين التابعة لحزبه في 2019.01.26 بأن: «ممثلين عن قوات سوريا الديمقراطية طلبوا لقاءنا في بيروت بعد تخلي الأميركيين عنهم»، من جهتها أصدرت قوات قسد بيانًا، نفت فيه طلبها مثل هذه الوساطة من حزب الله.

(16) بيان وحدات حماية الشعب: «ندعو الدولة السورية التي ننتمي إليها أرضًا وشعبًا وحدودًا، إلى إرسال قواتها المسلحة لاستلام هذه النقاط وحماية منطقة منبج أمام التهديدات التركية». وكالة أنباء هاوار.ANHA التابعة للحزب في 2018.12.28.

(17) موقع «باسنيوز: «دمشق ترفض اقتراحات الحزب والروس يطالبونه بتسليم السلاح»، 2019.01.04.

السوري، وضمان توزيع عادل للموارد في شمال سورية وشرقها»[18]، على أن تكون الخطوة الأولى لتطبيقها تسليم مناطق التماس مع الجيش التركي، ومنها المناطق الحدودية للجيش السوري، وخلق منطقة فصل بين الجيش التركي ووحدات حماية الشعب التابعة للحزب. لكن تلك الزيارات لم تغير من الوضع كثيرًا، حيث لم يسمع حزب PYD في روسيا -التي تمتلك تأثيرًا كبيرًا على نظام الأسد- سوى الرأي الذي أبداه الروس عشية الهجوم التركي على عفرين، وهو تسليم المنطقة إلى نظام الأسد، فقد طلبوا من وفد الحزب صراحةً: تسليم سلاحهم والتنسيق مع النظام، مقابل ألّا يجري القضاء عليهم وتدمير المنطقة»[19].

لقد شكّل قرار الرئيس الأميركي ترامب، القاضي بسحب قوات بلاده من سورية مرحلة ثانية للتطبيع العلني بين نظام الأسد وحزب الاتحاد الديمقراطي بعد مرحلة عفرين، وكان مقدمةً لتهميش إدارة الحزب مقابل تعويم مؤسسات نظام الأسد مجددًا التي لم تغب عن المناطق الكُردية السورية أصلًا. وعلى الرغم من أن هرولة الحزب تجاه النظام أثارت حفيظة الأميركان الذين هددوا بقطع المساعدات العسكرية في حال ذهاب الحزب إليه[20]، لم يتوقف الحزب -الذي حاول عدم إظهار نفسه بمظهر من خرج عن السكة الأميركية- عن اندفاعته تلك، وبخاصة أن القرار الأميركي المتعجل بالانسحاب لم يترك له خيارات كثيرة، وجعله واقعًا بين مطرقة التهديدات التركية باجتياح المنطقة، وسندان ضغوط نظام الأسد المطالب بإعادتها إليه. لقد أصبح حزب الاتحاد الديمقراطي وحيدًا مكشوفًا محاطًا بالأعداء من كل جانب، وأصبحت كل أوراق القوة التي يمتلكها ويراهن عليها بعد أن أخذ تنظيم داعش يلفظ أنفاسه الأخيرة، هي عدم قدرة نظام الأسد على إعادة بسط سيطرته الكاملة على المنطقة، ومن ثم حاجته إليه في حراسة ثروات المنطقة الإستراتيجية لمصلحته، ليس أكثر[21].

4. انفتاح خجول على الكُرد

ضمن جملة التغيرات التي ظهرت في سلوك حزب الاتحاد الديمقراطي، بعد قرار الرئيس ترامب سحب القوات الأميركية من سورية، كانت هناك التفاتة مفاجئة نحو الكُرد، خرج فيها الحزب على نهجه الذي كان متصلبًا في السنوات السابقة، وراح يبدي بعض المرونة تجاههم. خطا الحزب خطوةً غير متوقعة نحو المجلس الوطني الكُردي الذي يتحالف مع الائتلاف السوري المعارض، ويحتفظ الحزب عادةً في جعبته بسلسلة من التهم له، منها الخيانة وأكبرها بسبب مشاركة المجلس في احتلال عفرين، وقمع أحزابه وممارسة انتهاكات بحق كوادره بمناسبة ومن دونها.

(18) وكالة رويترز وروسيا اليوم، 2019.01.04.

(19) وكالة رويترز: المتحدثة باسم وزارة الخارجية الروسية ماريا زخاروفا في تصريحات للصحفيين: يتعين نقل السيطرة في الأراضي التي كانت تنتشر بها القوات الأميركية إلى الحكومة السورية». 2019.01.11.

(20) الجنرال بول لا كاميرا، قائد قوات التحالف الدولي ضد داعش: «سنستمر في تدريب وتسليح الأكراد إذا بقوا شركاء لها، ولكن الولايات المتحدة ستضطر إلى وقف مساعداتها العسكرية لقوات سورية الديمقراطية؛ في حال تحالف مقاتلوها مع نظام الأسد أو روسيا، حيث ستنقطع العلاقة معهم، لأنهم سيعودون إلى النظام أو الروس الذي لا نرتبط معهم بعلاقة. إذا حدث ذلك فلن نبقى شركاء معهم بعدها». رويترز. 2018.02.17.

(21) عضو (الهيئة التنفيذية لحركة المجتمع الديمقراطي) جيا كورد، في تصريح لرويترز، 2019.01.04: «هناك أوراق رابحة في أيدي الإدارة الذاتية، منها سيطرتها على سد نهر الفرات وحقول النفط والموارد الأخرى في الشمال السوري، وستكون عناصر رئيسية في الحوار مع دمشق».

فقد أصدر (المؤتمر الوطني الكُردستاني .KNK) -وهو أحد المنظمات التابعة لحزب العمال الكُردستاني- مبادرة في الرابع من كانون الثاني/ يناير 2019، لـ«عقد مؤتمر قومي كُردي وتوحيد الصف الكُردي السوري، وذلك من خلال: «تشكيل مظلة أو مرجعية للكُرد، للسعي لعدم تفويت الفرصة السانحة للكُرد في كُردستان سورية في الحصول على حقوقهم، وكذلك للحفاظ على المكاسب المتحققة»، بحسب ناطقين باسم المؤتمر والحزب وإدارته، في خلال ترويجهم للمبادرة المفاجئة وأكدوا أن مبادرتهم: «من دون شروط مسبقة، وسيقفون على مسافة واحدة من جميع الأطراف»، وبأنهم: «سيبذلون جهدهم الرئيسي تجاه المجلس الوطني الكُردي، وستستمر محاولاتهم تجاه المجلس ولن يتركوه حتى يوافق على المبادرة، ويجلس مع حزب الاتحاد الديمقراطي، وبقية الأطراف التابعة له أو القريبة منه[22]». وأعلن (المؤتمر القومي الكُردستاني) أنهم اجتمعوا مع الإدارة الذاتية الديمقراطية واتفقوا على بعض النقاط، منها السماح للأحزاب غير المرخصة في شمال سورية وشرقها بافتتاح مكاتبها في المنطقة. استكمالًا لتلك الخطوة، أصدرت (لجنة شؤون الأحزاب السياسية) في إدارة حزب الاتحاد الديمقراطي بيانًا في اليوم التالي، أعلنت فيه سماحها لأحزاب المجلس الوطني الكُردي بإعادة افتتاح مكاتبها، وهي المكاتب التي أغلقها حزب PYD بوساطة أذرعه الأمنية والعسكرية، وعمد إلى حرقها بيده الضاربة (حركة جوانن شورشكر. شبيبة الثورة)، بسبب عدم حصول الأحزاب الكُردية على ترخيص بالعمل من إدارة الحزب.

(22) عبد الكريم عمر، القيادي في إدارة حزب الاتحاد الديمقراطي و«ممثل KNK عن كُرد سورية، في مؤتمر صحافي في القامشلي.

رابعًا: الدعم الأميركي لمنطقة تركية آمنة في منطقة شرق الفرات السورية

1. فكرة المنطقة الآمنة في شرق نهر الفرات

مع ارتفاع النبرة التركية تجاه حزب الاتحاد الديمقراطي بعد قرار الانسحاب الأميركي، واحتفاء الأتراك بنصر سابق لأوانه في منطقة شرق الفرات من جهة، وتصاعد الانتقادات لقرار ترامب، وتصويره «طعنة موجهة إلى ظهر حلفاء أميركا في محاربة داعش» من جهة أُخرى، بدأ الأميركيون محاولة التخفيف من وقع قرارهم القاضي بالانسحاب من دون قيد أو شرط من سورية، فأخذوا يتحدثون في ذروة العاصفة التي أثارها القرار عن أن: «الأهمية هي لضمان ألا يقتل الأتراك الكُرد، ولحماية الأقليات الدينية في سورية، كل هذه الأمور ما تزال جزءًا من المهمة الأميركية»[23]. ثم أعلنوا في اليوم التالي أن: «الرئيس الأميركي ترامب، أكد أن الانسحاب الأميركي من سورية لن يحدث من دون اتفاق لحماية الكُرد»[24]. أثار الحديث الأميركي عن حماية الكُرد غضب الأتراك، وعدّوا التصريحات الأميركية حول شراكة وحدات حماية الشعب لهم في محاربة الإرهاب (تصريحات مزعجة)، وأخذوا يؤكدون أن اتهام تركيا باستهداف الكُرد: «أمر لا يتقبله العقل، فتركيا تستهدف تنظيمات داعش وحزب العمال الكُردستاني ووحدات حماية الشعب الإرهابية» بحسب قولهم، وهي تعمل على: «تخليص الكُرد من ظلم المنظمة الإرهابية واضطهادها» بحسب الرئاسة التركية[25].

لجأ الرئيس الأميركي إلى التصعيد ضد الأتراك، ففاجأ العالم بتغريدة على موقع تويتر هدد فيها تركيا إذا ما هاجمت الكُرد، بعد انسحاب القوات الأميركية من سورية. قال ترامب في تغريدته المنشورة في الثالث عشر من كانون الثاني/ يناير 2019: «سندمر تركيا اقتصاديا إذا هاجمت الكُرد»، داعيًا الكُرد بدورهم إلى عدم استفزازها. كانت المفاجأة الثانية الواردة في تغريدة الرئيس ترامب، هي دعوته إلى إقامة منطقة آمنة بعرض 30 كيلومترًا. صدمت تصريحات ترامب الأتراك، فدعوا الأميركيين إلى احترام الشراكة الإستراتيجية بينهما، لكنهم رحبوا بالفكرة الأميركية حول إقامة منطقة آمنة، وقالوا إن الاقتراح الأميركي بشأنها جاء بعد أن لمس الأميركيون: «عزم تركيا وإصرارها»، وقد وصل تأييدهم لها حد القول إن: «فكرة المنطقة الآمنة في شمال سورية، هي أصلًا مقترح سابق للرئيس التركي أردوغان»[26]. في اليوم التالي لتهديدات الرئيس ترامب للأتراك، اتصل الرئيس التركي أردوغان بالرئيس الأميركي، وتباحث معه حول إقامة المنطقة الآمنة في شمال سورية، التي قال إنها ستكون: (منطقة خالية من الإرهاب)، وبأن من الممكن تولي شركة الإسكان التركية أعمال الإنشاءات فيها، في حال تلقي تركيا الدعم المالي واللوجستي من أميركا والتحالف الدولي، الأمر الذي خفف من تهديدات ترامب بتدمير الاقتصاد التركي، فراح يتحدث عن توسيع نطاق التنمية الاقتصادية بين

(23) وزير الخارجية الأميركية في تصريح لموقع (نيوزماكس) في 2018.12.05.

(24) وكالة رويترز عن مستشار الرئيس الأميركي جون بولتون في 2018.12.06 خلال زيارته إلى اسرائيل.

(25) وكالة الأناضول نقلًا عن الناطق باسم الرئاسة التركية إبراهيم قالن في 2018.12.06.

(26) تصريحات لوزير الخارجية التركي جاويش أوغلو في 2019.01.15.

البلدين[27].

أعلن حزب الاتحاد الديمقراطي رفضه المنطقة الآمنة بشكلها المطروح تركيًا، وراح يعدّها مساسًا بالسيادة السورية، إضافة إلى كونها تمس: «سيادة إدارتنا الذاتية، لكون تركيا طرفًا في المشكلة، ولا يمكن بسبب ذلك أن تكون ضمانًا للأمان»، واقترح الحزب بدلًا من المنطقة الآمنة: «رسم خط فاصل بين تركيا وشمال سورية، عبر استقدام قوات تابعة للأمم المتحدة لحفظ الأمن والسلام، أو الضغط على تركيا لعدم مهاجمة مناطقنا»[28]. لكن قوات سوريا الديمقراطية القريبة من الأطراف السابقة كلها، عادت وخرجت بموقف متفرد، تمثل في إعلان تأييدها للمنطقة الآمنة، شرط أن تكون هناك: «ضمانات دولية تؤكد حماية مكونات المنطقة، وترسخ عوامل الأمان والاستقرار فيها، وتضمن منع التدخل الخارجي فيها»، وأظهرت قسد فوق ذلك، رغبتها في الوصول إلى تفاهمات مع الأتراك الذين وصفتهم بالجيران، وذلك: «لتأمين الأمن والاستقرار في المناطق الحدودية»، وقالت إنها: «لم تشكل تهديدًا لدول الجوار وبخاصة تركيا»[29].

2. الاتفاق التركي الأميركي على المنطقة الآمنة

أعلنت السفارة الأميركية في بيانٍ لها في أنقرة، أن وفدين عسكريين أميركي وتركي، عقدا اجتماعات في وزارة الدفاع التركية من الخامس إلى السابع من آب/ أغسطس 2019، لمناقشة: «خطط تنسيق وإدارة الجهد الرامي إلى إنشاء المنطقة الآمنة في شمال سورية»، وأن الوفدين اتفقا على: «التنفيذ السريع للتدابير الأولية لمعالجة المخاوف الأمنية لتركيا، إضافة إلى إنشاء مركز عمليات مشتركة في تركيا في أقرب وقت ممكن، لتنسيق إنشاء المنطقة الآمنة وإدارتها، وعلى جعل المنطقة الآمنة المزمع إنشاؤها ممرًا للسلام»[30]. نص الاتفاق الأميركي التركي، على أن تمتد المنطقة الآمنة من نهر الفرات غربًا إلى حدود إقليم كُردستان شرقًا، وأن يبلغ عرضها 40.30 كم، وأن تنفذ في مرحلة أولى في المنطقة الفاصلة بين مدينتي رأس العين/سري كانية وتل أبيض وصولًا إلى الحدود التركية، على أن تُخلى من الوحدات العسكرية التابعة لحزب الاتحاد الديمقراطي، وسحب الوحدات أسلحتها الثقيلة منها، وأن تنشأ نقاط مراقبة مشتركة على الحدود التركية، وأن تقوم قوات أميركية تركية مشتركة بالدوريات فيها، وكذلك مراقبة مجالها الجوي، والتنسيق والتبادل الاستخباراتي بين الطرفين بشأنها، كما طرح الأتراك أفكارًا أُخرى لم يجرِ الاتفاق مع الأميركيين بشأنها، مثل ضرورة إنهاء الدعم المقدم للوحدات الكُردية، وبذل الجهد لتمكين اللاجئين السوريين من العودة إلى بلدهم.

(27) نشرت وسائل إعلام تركية تقارير في 2019.01.15، ذكرت فيها بأن المنطقة الآمنة ستمتد على طول 460كم، على طول الحدود التركية السورية، وبعمق 32كم، وقالت التقارير إن المنطقة ستضم أجزاء من ثلاث محافظات سورية هي حلب، الرقة والحسكة، حيث تشمل المناطق الواقعة شمال الخط الواصل بين قرية صرين ومدينة كوباني في ريف حلب الشرقي، بلدتي عين عيسى وتل أبيض في محافظة الرقة، إضافة إلى مدينة القامشلي، وبلدات رأس العين وتل تمر والدرباسية وعامودا ووردية، وتل حميس والقحطانية واليعربية والمالكية في محافظة الحسكة، أي كامل الشريط الحدودي الذي يضم المناطق الكُردية السورية.

(28) القيادي في حزب العمال الكُردستاني و(حركة المجتمع الديمقراطي) التابعة له آلدار خليل، في تصريح لوكالة فرانس برس في 2019.01.16.

(29) بيان صادر عن قوات سوريا الديمقراطية في 2019.01.16: «قسد ستقدم كل الدعم والمساعدة اللازمة لتشكيل المنطقة الآمنة التي يجري تداولها في سورية، بما يضمن حماية كل الإثنيات والأعراق المتعايشة من مخاطر الإبادة».

(30) وكالة الأناضول التركية. 2019.08.07.

عدّ حزب الاتحاد الديمقراطي الاتفاق الأميركي التركي على المنطقة الآمنة ثلاثيًا، عادًّا نفسه جزءًا منه، على الرغم من أنه لم يحضر مناقشة الاتفاق ولم يوقع عليه، وعلى الرغم من أن الاتفاق يتعارض مع مصالحه، لا بل ينهي وجوده في المنطقة، وقد بادرت قوات سوريا الديمقراطية التابعة له -ابتداء من الثالث والعشرين من آب/ أغسطس 2019، ضمن إطار (التزامها الطوعي بالاتفاق)- إلى إزالة السواتر الترابية وطمر الخنادق والأنفاق، وتدمير التحصينات التي أقامتها على تخوم مدينة رأس العين/ سري كانية، لتمهيد الأرض أمام دخول الدوريات التركية الأميركية المشتركة إلى المنطقة، بعد أن أقامتها طوال سنوات، بذريعة الدفاع عنها في وجه هجوم تركي محتمل، وبادرت وحدات حماية الشعب إلى الانسحاب مع أسلحتها الثقيلة من بلدة تل أبيض، جنوبًا باتجاه الداخل السوري، وبخاصة إلى بلدة عين عيسى والطريق الدولي تل علو- حلب، المعروف باسم (طريق رودكو أو طريق M4)، حتى أخذت الأنباء تتحدث عن خلو تل أبيض من الوحدات التابعة للحزب.

بدأ حزب الاتحاد الديمقراطي بسحب مقاتليه من المنطقة الآمنة رسميًا، تنفيذًا للاتفاق الأميركي التركي، بحسب بيان أصدره في 27 آب/ أغسطس 2019، ذكر البيان الذي صدر عن (مكتب الدفاع في الإدارة الذاتية) التابع للحزب، أن: «إزالة السواتر الترابية في منطقة رأس العين/ سري كانية، وسحب مجموعة من وحدات حماية الشعب مع الأسلحة الثقيلة إلى نقاط جديدة، وتسليم النقاط الحدودية إلى القوات المحلية، يأتي في إطار التفاهمات الثلاثية بخصوص أمن الحدود مع تركيا»، وذلك ضمن المرحلة الأولى من تلك التفاهمات التي طُبِّقت في مدينة رأس العين/ سري كانية وفي ما بعد في تل أبيض. عدّ حزب الاتحاد الديمقراطي نفسه، طرفًا ثالثًا في التفاهمات الأميركية التركية، وأصر في البيانات التالية على عدّ نفسه جزءًا من اتفاق ثلاثي، يجمعه مع الأتراك والأميركيين. وقد بادرت وحدات حماية الشعب التابعة له، إلى تشكيل (مجالس عسكرية محلية) جديدة في المدينتين المذكورتين، مكونة أساسًا من عناصر الوحدات، وبدأت بتسليم مواقع الوحدات في المدينتين إلى تلك المجالس، وأوكلت إليها تدمير ما تبقى من تحصينات أقامتها سابقًا، في خطوة أريد منها إثبات جديته في الالتزام الاتفاق، وظنها كافية لإقناع طرفيه بأنه انسحب من المنطقة والمدينتين، وهو الأمر الذي رفض الأتراك تصديقه أو قبوله.

3. اتفاق المنطقة الآمنة يمهد لعملية عسكرية تركية في منطقة شرق الفرات

بعد أربعة أسابيع من النشاط المحموم في المنطقة، انتهت فيها المجالس العسكرية التي أسستها قوات سوريا الديمقراطية من ردم الخنادق وتدمير الأنفاق والتحصينات التي أقامتها وحدات حماية الشعب، بحيث أصبحت الأرض خالية تمامًا من العوائق، وممهدة لتحرك الدوريات الأميركية التركية من دون صعوبات، أعلنت وحدات حماية الشعب في التاسع والعشرين من أيلول/ سبتمبر 2019 انسحابها من مدينة رأس العين/ سري كانية وتسليمها إلى مجلس سري كانية العسكري، وقالت إن انسحابها مع أسلحتها سيكون بإشراف دولي، وذلك حتى عمق يراوح من 14.5 كيلومترًا من المناطق الحدودية مع تركيا[31]. تابعت القوات الأميركية التركية تسيير دورياتها في المنطقة، وكان آخرها ضمن إطار المرحلة الأولى من اتفاق المنطقة الآمنة، تلك التي شوهدت في منطقة تل أبيض في الرابع من تشرين الأول/ أكتوبر 2019، لتبدو هذه المرحلة كأنها

(31) قيادية في مجلس سري كانية العسكري: «قامت قواتنا بتدمير التحصينات داخل مدينة رأس العين/ سري كانية وفي تل أرقم وبلدة تل حلف وحتى قرية عين حصان، واستلمت قوات مجلس سري كانية العسكري النقاط التي انسحبت منها قوات سوريا الديمقراطية ووحدات حماية الشعب والمرأة رسميًا». موقع قوات سوريا الديمقراطية. 2019.09.29.

حققت غرضها، بحيث أصبحت العملية تراوح في مكانها، من دون أن يكون واضحًا وجود ما يستوجب تنفيذه بعد، بعد إزالة المخاوف الأمنية التركية، وماهية الخطوة التالية نحو المرحلة الثانية، وطبيعة تلك المرحلة.

بعد أن أصبحت المنطقة الواقعة بين مدينتي رأس العين/ سري كانية وتل أبيض -وهي موضوع المرحلة الأولى من المنطقة الآمنة- شبه خالية من وحدات حماية الشعب التابعة لحزب الاتحاد الديمقراطي، وتحت تصرف الدوريات الأميركية التركية التي باتت تقطعها طولًا وعرضًا، بحيث أصبحت على معرفة بكافة تفاصيلها، أعلن الرئيس التركي أردوغان فجأةً في الخامس من تشرين الأول/ أكتوبر 2019، عن قرب القيام بعملية عسكرية في شرق الفرات: «بهدف إرساء السلام»، بعد أن: «لمس مماطلة من شركائه في متابعة تنفيذ اتفاق المنطقة الآمنة» وإبعاد بلاده عن خطر الإرهاب. قال الرئيس التركي: «أجرينا استعداداتنا للعملية، وأكملنا الخطة وأصدرنا التعليمات اللازمة بخصوص ذلك»، وأضاف: «العملية باتت قريبة، إلى حد يمكن القول إنها اليوم أو غدًا، وسنقوم بتنفيذها من البرومن الجو»[32].

سبق إعلان الرئيس التركي المفاجئ عن العملية العسكرية في شرق الفرات، سحب الجيش التركي آلاف المسلحين من فصائل الجيش الوطني السوري الموجودين في عفرين الذي سبق له أن اعتمد عليهم في احتلال عفرين في آذار/ مارس 2018، ونقلهم إلى داخل تركيا، إلى المنطقة الحدودية المواجهة لتلك التي تجري إقامة منطقة آمنة فيها، وتزمع تركيا تنفيذ عملية عسكرية فيها، وتلا إعلان الرئيس التركي عن العملية، إعلان الجيش الأميركي سحب قواته من المنطقة الآمنة، الأمر الذي حقق (نبوءة) السفير الأميركي السابق في سورية، عن انتهاء منطقة الحظر الجوي في شرق الفرات، وانتهاء العلاقة الخاصة بين أميركا وقوات سوريا الديمقراطية، وأعاد إلى الأذهان ثانيةً، إعلان الأميركيين وقوفهم على الحياد، وعدم تدخلهم لمنع العملية التي نفذها الجيش التركي في منطقة عفرين[33].

على الرغم من وجود اتفاق ينظم وضع المنطقة الآمنة، ما زالت بنوده نافذة، فإن الأمر لم يعد يتعلق بالإعلان عن عملية عسكرية تركية فحسب، بل أصبحت أصوات المدافع تسمع بوضوح في المنطقة، وكان آخرها قصف الطيران التركي في السابع من تشرين الأول/ أكتوبر 2019 مواقع وحدات حماية الشعب في قرية (قورية) بريف مدينة ديرك، القريبة من حدود إقليم كُردستان في الشرق، ما أوقع إصابات في صفوفها، بحيث بدا سيناريو عفرين على طريق الإعادة، وكان من فصوله التي أعادت نفسها، دعوة حزب الاتحاد الديمقراطي المجتمع الدولي إلى التدخل لوقف العدوان التركي على المنطقة، وقيام أنصار الحزب بتظاهرات ضد التدخل التركي فيها، مع حديث نظام الأسد عن إدانة العدوان التركي[34].

(32) تصريحات للرئيس التركي أمام نواب حزب العدالة والتنمية في البرلمان التركي، 2019.10.05.

(33) السفير الأميركي السابق في سورية روبرت فورد لصحيفة الشرق الأوسط: لا أحد يعلم كم من الوقت ستستمر منطقة الحظر الجوي الأميركي شرق نهر الفرات، أو تلك العلاقة الخاصة التي تربط واشنطن بقوات سوريا الديمقراطية، لكن خبرتنا تقول إنها ستنتهي يومًا ما. 2019.07.29

(34) وكالة سانا التابعة لنظام الأسد.

خامسًا: الانسحاب الأميركي من المنطقة الحدودية السورية وإخراج قوات سوريا الديمقراطية منها

1. عملية (نبع السلام) العسكرية التركية في منطقة شرق الفرات السورية

بعد إطلاق الأتراك تهديدات متواصلة بالقيام بعملية عسكرية جديدة في المنطقة الواقعة شرق نهر الفرات السورية، بدؤوها منذ نجاح جيشهم في دخول منطقة جرابلس، وزادوا من منسوبها منذ الأيام الأولى لعمليتهم العسكرية في منطقة عفرين، بدأ الجيش التركي بالتعاون مع فصائل سورية معارضة، عملية عسكرية ثالثة داخل الأراضي السورية، في التاسع من تشرين الأول/ أكتوبر 2019، استهدف بها مدينتي رأس العين/ سري كانية وتل أبيض مع المنطقة الفاصلة بينهما، بهدف تحويلها إلى منطقة تركية آمنة يصل طولها إلى 120 كيلومترًا، هي المسافة الفاصلة بين المدينتين الواقعتين على الحدود السورية التركية، وبعمق يصل إلى 30 كيلومترًا داخل الأراضي السورية[35]، كان اتفاق أميركي تركي قد وضع الأساس لها، وجرى تنفيذ معظم بنوده قبل أيامٍ من التدخل العسكري التركي الجديد الذي أطلقت عليه تركيا تسمية (عملية نبع السلام)، وجاء ضمن إطار عمل عسكري مستمر، دأب الأتراك على إشاعة أنهم يهدفون منه إلى: «تطهير كامل حدودهم مع سورية من الإرهاب، وإزالة الخطر عن الأمن القومي التركي»، ومن ثم إقامة منطقة آمنة لإعادة اللاجئين السوريين في تركيا إليها، وتسليمها إلى أهلها الحقيقيين[36].

كان حزب الاتحاد الديمقراطي وإدارته ووحداته العسكرية، بما فيها قوات سوريا الديمقراطية ووحدات حماية الشعب في أسوأ أوضاعهم، عندما بدأت العملية العسكرية التركية في منطقة شرق نهر الفرات السورية. فقد وجد الحزب نفسه مرةً أُخرى وحيدًا، في مواجهة الجيش التركي العضو في حلف الناتو، بعد أن تجاهلته القوات الأميركية في المنطقة وانسحبت منها، درجة بدا معها اتفاق المنطقة الآمنة الأميركي مع الأتراك كأنه فخٌ نصبه الأميركيون للحزب، على الرغم من إصرار الأخير على أنه جزءٌ من الاتفاق، وتنفيذه بنوده التي عدّها التزاماته بموجبه، حيث دمر بنفسه التحصينات التي أقامها في المنطقة، وسحب بإشراف القوات الأميركية، أسلحته الثقيلة مع قسم كبير من مسلحيه إلى خارجها، لتعمد القوات الأميركية إلى الانسحاب المفاجئ من المنطقة، بعد أن أُزيلت كل تلك العوائق أمام الجيش التركي، خصوصًا بعد المعرفة بأوضاع المنطقة التي وفرتها له الدوريات المشتركة التي سيرها مع القوات الأميركية فيها، بحيث رجحت كفة الأتراك بوضوح قبل بدء المواجهة.

مع بدء العملية العسكرية التركية في المنطقة الواقعة شرق نهر الفرات، بدأت القوات الأميركية بإخلاء

(35) بدأت تركيا تدخلها العسكري في سورية في 2016.08.24، في عملية أسمتها (درع الفرات)، خاضها جيشها بالتعاون مع فصائل سورية معارضة باسم (فصائل درع الفرات)، ونجح في خلالها بإخراج تنظيم داعش من منطقة جرابلس، وإبعاده عن حدودها. أما العملية الثانية للجيش التركي التي أسماها (عملية غصن الزيتون)، فقد بدأت في 2018.01.20، وخاضها بالاعتماد على (الجيش السوري الحر) الذي أسماه (فصائل غصن الزيتون)، وقد نجح في النتيجة بإخراج حزب الاتحاد الديمقراطي من منطقة عفرين، وإبعاده عن حدوده في تلك المنطقة.

(36) الرئيس التركي في تغريدةٍ له على موقع (تويتر): «تهدف عملية نبع السلام إلى القضاء على التهديدات التي يمثلها حزب العمال الكُردستاني ووحدات حماية الشعب وداعش في شمال سورية، وتمكين اللاجئين السوريين في تركيا من العودة إلى ديارهم، بعد إقامة منطقة آمنة».

قواعدها الموجودة في المنطقة الحدودية السورية مع تركيا. أخلت القوات الأميركية في الثالث عشر من تشرين الأول/ أكتوبر 2019، قاعدتها العسكرية في قرية (سبتة) التابعة لبلدة صرين، الواقعة على بعد 70 كيلومترًا جنوب مدينة كوباني، وهي أكبر قواعدها في شمال سورية[37]، وأبدت إصرارًا على الانسحاب النهائي من شمال سورية، بعنوان تخفيض عدد قواتها وإعادة انتشارها، بنقلها إلى قواعد لها في العراق. ولم تغير من هذه المعطيات، عودة القوات الأميركية إلى بعض قواعدها في المنطقة بعد أيام من انسحابها منها، خصوصًا أنها لم تعد الوحيدة فيها، بل وجدت نفسها محض رقم بين مجموعة قوى، أصبح لها وجود قوي على الأرض، بعد أن كانت تشارك حلفاءها في قوات سوريا الديمقراطية السيطرة عليها، ويبدو بأن تلك العودة لم تكن بغرض البقاء الدائم غالبًا، فقد كانت أيامًا معدودة أحيانًا، لتعود وتنسحب منها، بعد أخذ معدات تركتها سابقًا، انسجامًا مع إعلان وزير الدفاع الأميركي، بأن الانسحاب الأميركي من كوباني، سينتهي في أسبوع واحد[38].

2. الاتفاق الأميركي التركي لإخراج حزب الاتحاد الديمقراطي من المنطقة الآمنة

بعد مرور عشرة أيام على العملية العسكرية التركية في منطقة شرق الفرات السورية، وبعد تقدم أحرزه الجيش التركي والجيش الوطني السوري المتحالف معه، على حساب تراجع قوات سوريا الديمقراطية التابعة لحزب الاتحاد الديمقراطي، توصل الجانبان الأميركي والتركي ف-ي السابع عشر من تشرين الأول/ أكتوبر 2019، بعد محادثات بين الرئيس التركي أردوغان ونائب الرئيس الأميركي بنس في العاصمة التركية- إلى اتفاق لوقف إطلاق النار في المنطقة، نشر تفاصيله مكتب نائب الرئيس الأميركي عبر بيان، تضمن الاتفاق الأميركي التركي ثلاثة عشر بندًا، ونص على: «وقف الجانب التركي عملية نبع السلام، من أجل السماح لوحدات حماية الشعب بالانسحاب من المنطقة الآمنة في خلال 120 ساعة، على أن توقف العملية عند الانتهاء من هذا الانسحاب»، وعلى رفع الولايات المتحدة الأميركية العقوبات المفروضة على تركيا، عند وقفها عمليتها العسكرية، وعلى متابعة إنشاء المنطقة الآمنة لمعالجة «شواغل الأمن القومي التركي»، بما في ذلك: «إعادة جمع الأسلحة الثقيلة من وحدات حماية الشعب، وتعطيل تحصيناتهم وجميع مواقع القتال الأخرى»، وأن تعمل أميركا وتركيا على محاربة نشاط تنظيم داعش في شمال شرق سورية، والتنسيق بشأن مرافق احتجاز عناصره، مع التزام تركيا: «بضمان سلامة ورفاهية سكان جميع المراكز السكانية في المنطقة الآمنة التي تسيطر عليها القوات التركية»[39].

توقفت المعارك في منطقة شرق الفرات، التزامًا من طرفي القتال، بالاتفاق الأميركي التركي لوقف إطلاق النار. قالت (القيادة العامة لقوات سوريا الديمقراطية) إن إعلان وقف إطلاق النار الفوري بين قوات سوريا الديمقراطية والدولة التركية، جاء بناء على: «طلب وموافقة قواتنا وبوساطة الولايات المتحدة الأميركية ممثلًا بنائب الرئيس مايك بنس»، وبأن الاتفاق دخل حيز التنفيذ، على طول جبهات القتال: «الممتدة من رأس العين/ سري كانية شرقًا وحتى مدينة كري سبي/ تل أبيض غربًا». وطالب (مجلس سوريا الديمقراطية)

(37) وكالة فرانس برس: أكثر من سبعين مدرعة وسيارة عسكرية ترفع العلم الأميركي، تعبر مدينة تل تمر في محافظة الحسكة، بينما كانت مروحيات برفقتها تحلق في الأجواء، 2019.10.13.

(38) صحيفة البيان الإماراتية: وزير الدفاع الأميركي: الانسحاب من كوباني قد يستغرق أسبوعًا، 2019.11.14.

(39) تتضمن هذه الفقرة مقاطع حرفية من الاتفاق الأميركي التركي، الذي نشرته وسائل إعلام عربية وعالمية منها صحيفة الشرق الأوسط.

أحد واجهات حزب الاتحاد الديمقراطي: «الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي والجامعة العربية وبشكل خاص الولايات المتحدة الأميركية»، بإرسال مراقبين دوليين: بهدف الحفاظ على اتفاق وقف إطلاق النار المؤقت وجعله دائمًا، يفضي إلى انسحاب كامل لجيش الاحتلال التركي». من جهتها أعلنت الولايات المتحدة الأميركية، أن: «وحدات حماية الشعب الكُردية، ستنسحب من المنطقة الحدودية مسافة 20 ميلًا في خلال خمسة أيام، بالتزامن مع وقف القوات التركية عملياتها العسكرية»[40].

وسط اتهامات متبادلة بخرق وقف إطلاق النار، دعت قوات سوريا الديمقراطية الولايات المتحدة الأميركية، في التاسع عشر من تشرين الأول/ أكتوبر 2019، إلى إلزام تركيا باتفاق وقف إطلاق النار ووقف انتهاكاتها له، و»فتح ممر آمن لإخراج الجرحى والمدنيين المحاصرين في مدينة رأس العين/ سري كانية». دخلت قافلة من الصليب الأحمر الدولي إلى المدينة، في مساء اليوم نفسه، وأجْلَت عددًا كبيرًا من الجرحى من مستشفى المدينة ونقلتهم إلى خارجها. أعلنت قوات قسد بعد ذلك أنها ستسحب مقاتليها من المنطقة الحدودية الواقعة بين مدينتي رأس العين/ سري كانية وتل أبيض، إلى عمق ثلاثين كيلومترًا داخل الأراضي السورية، وأن: «الانسحاب سيبدأ، في عقب سماح تركيا لقوات سوريا الديمقراطية بإجلاء مقاتليها والمدنيين، من رأس العين/ سري كانية المحاصرة»[41]. غادر جميع مقاتلي قوات قسد، بعد ظهر يوم العشرين من تشرين الأول/ أكتوبر 2019، مدينة رأس العين/ سري كانية من دون أسلحتهم، برفقة قافلة الصليب الأحمر الدولي، وحل مكانهم فيها الجيش التركي والجيش الوطني السوري، ثم أعلنت قوات سوريا الديمقراطية أن مقاتليها انسحبوا بشكل كامل من المدينة، ولم يبقَ لديها مقاتلون فيها، وذلك: «في إطار اتفاق الوقف المؤقت للعمليات العسكرية؛ مع الجانب التركي وبوساطة أميركية، جرى اليوم إخلاء مدينة رأس العين/ سري كانية من مقاتلي قوات سوريا الديمقراطية بشكل كامل[42]».

بعد إكمال قوات سوريا الديمقراطية انسحابها من مدينة رأس العين/ سري كانية، استأنفت القوات الأميركية إخلاء قواعدها من المناطق الحدودية السورية مع تركيا، وتابعت انسحابها من الأراضي السورية باتجاه إقليم كُردستان والمنطقة الغربية من العراق، عبر معبري بيشخابور وسحيلة الحدوديين. فقد غادرت منذ 21 تشرين الأول/ أكتوبر 2019 أرتال ضخمة وصل عدد الآليات العسكرية في بعضها إلى مئات، ضمن إطار: «الخطة الأميركية لسحب القوات البالغ عددها نحو ألف فرد من سورية، وإعادة تموضعهم في غرب العراق، لمواصلة الحملة ضد عناصر تنظيم داعش والمساعدة في الدفاع عن العراق»[43]. في أثناء مرور القوات الأميركية عبر مدينة القامشلي، حاول بعض المواطنين الكُرد عرقلة سيرها، بينما رشق بعضهم الآخر العربات الأميركية بالحجارة والخضار الفاسدة، تعبيرًا عن غضبهم من المواقف الأميركية التي عدّوها ضوءًا أخضر للجيش التركي لبدء عمليته العسكرية الجديدة في المنطقة، إذ اتهم بعض المحتجين الجنود الأميركيين: «بالمسؤولية عن مقتل الأطفال الكُرد على يد الجيش التركي وميليشياته»[44].

(40) مؤتمر صحافي لنائب الرئيس الأميركي بنس ووزير الخارجية بومبيو.

(41) تصريح (مسؤول العلاقات العامة في قوات سوريا الديمقراطية)، ريدور خليل لوكالة أسوشيتد برس في 2019.10.20.

(42) بيان صادر عن قوات سوريا الديمقراطية، في 2019.10.20.

(43) رويترز: وزير الدفاع الأميركي إسبر: توقع انتقال كل القوات الأميركية المنسحبة من سورية إلى العراق. 2019.10.20.

(44) انتشر مقطع فيديو على مواقع التواصل الاجتماعي، في 2019.10.23، في غمرة الانسحاب الأميركي من المنطقة، يظهر سبعة عناصر ملتحين من المعارضة السورية المسلحة في ريف منطقة رأس العين/ سري كانية، وهم ينكلون بجثة مقاتلة كُردية ويرددون ألفاظًا نابية بحقها ويقومون بالتكبير، ما ذكّر بما تعرضت له جثة المقاتلة بارين كوباني من انتهاك في ريف عفرين، على أيدي عناصر المعارضة السورية الموالين للجيش التركي،

3. وصول الجيش التركي إلى الحد الجنوبي للمنطقة الآمنة (الطريق الدولي M4)

عندما وضعت تركيا تصوراتها للمنطقة الآمنة في سورية، وطالبت بأن تشمل كامل الشريط الحدودي السوري على حدودها، وبعمق يصل إلى ثلاثين كيلومترًا داخل الأراضي السورية، يبدأ من خط الحدود المشتركة السورية التركية، فإنها أخذت بالحسبان وقوع معظم المناطق الكُردية السورية، بما فيها عفرين التي سبق أن سيطرت عليها، والمدن والبلدات الرئيسية الكُردية الأُخرى في منطقة شرق نهر الفرات، ضمن هذا المساحة التي يسيطر على معظمها حزب الاتحاد الديمقراطي ويعد الطريق الدولي (رودكو) المعروف أيضًا باسم الطريق الدولي M4 حدها الجنوبي، مع وجود مناطق كُردية قليلة إلى الجنوب منه، ذلك أن الطريق الدولي يسير بموازاة خط الحدود السورية التركية ويتعرج معه، بحيث يحافظ غالبًا على مسافة تبلغ وسطيًا ثلاثين كيلومترًا، بدءًا من جهة الشرق على الحدود العراقية السورية، من معبر ربيعة الحدودي مع العراق في بلدة تل كوجر - اليعربية، باتجاه قرية تل علو غربًا، مرورًا من جنوب القامشلي وصولًا إلى بلدة تل تمر، ليتابع بعد ذلك إلى جنوب كوباني/ عين العرب الواقعة على الحدود التركية، ثم يبتعد عن الخط الحدودي باتجاه حلب وأخيرًا اللاذقية على البحر المتوسط[45].

في وقتٍ مبكرٍ من العملية العسكرية التركية في منطقة شرق الفرات -وفي اليوم الذي سيطر فيه الجيش التركي على مدينة تل أبيض، في الثالث عشر من تشرين الأول/ أكتوبر 2019، وعندما كانت المعارك ما تزال مشتعلة في رأس العين/ سري كانية- أعلنت وزارة الدفاع التركية اختراقها مناطق سيطرة قوات سوريا الديمقراطية لمسافة ثلاثين كيلومترًا، ووصولها إلى الطريق الدولي M4 في منطقة منبج. تابعت تركيا نشاطها العسكري للوصول إلى الطريق الدولي M4، بعد سيطرتها على مدينتي في رأس العين/ سري كانية وتل أبيض، فتقدمت من القرى التابعة للمدينتين جنوبًا، ومن قرى مناطق (عامودا، تل تمر، أبوراسين، تربسبية وديرك) في أقصى الشرق، متعقبة قوات سوريا الديمقراطية المنسحبة منها، مع الحرص على تجنب المناطق التي أعاد نظام الأسد انتشاره فيها[46].

لم تهدأ الأوضاع بعد سيطرة تركيا على الطريق الدولي M4، في القاطع الممتد من جنوب مدينة تل أبيض إلى جنوب رأس العين/ سري كانية، البالغ طوله نحو 120 كيلومترًا، فقد أصبح الطريق الدولي محل نزاع بين مختلف القوى الموجودة في منطقة شرق الفرات، ومدخلًا لرسم مناطق النفوذ بين القوات الروسية والتركية وكذلك الأميركية غير المستقرة، إضافة إلى الجيش السوري الذي أخذ يظهر في المنطقة ويرفع علمه فيها، وذلك على حساب قوات سوريا الديمقراطية التي تتلقى الضربات من جميع الأطراف التي تقتسم (ممتلكاتها)، بوصفها (تركة الرجل المهزوم). لقد أصبح تناوب هذه القوى السيطرة على مسافات من الطريق الدولي وقطعه أحيانًا، وعقد تفاهمات بينها بشأنه شأنًا يوميًا، مع بذل قوات قسد من جهتها الجهد للحفاظ

في إبان العملية العسكرية التركية في كانون الثاني/ يناير 2018، وهو الأمر الذي زاد حنق المواطنين الكُرد على القوات الأميركية.

(45) خط سير الطريق الدولي M4، من حدود العراق غربًا إلى داخل الأراضي السورية شرقًا: 1. محافظة الحسكة: معبر ربيعة في بلدة تل كوجر على حدود العراق غربًا. قرية تل علو. قرية كري بري. قرية خزنة. مدينة القامشلي. بلدة أبوراسين. قرية تل بيدر. بلدة تل تمر. 2. محافظة الرقة: بلدة عين عيسى. 3. محافظة حلب: مدينة منبج. مدينة الباب. مدينة حلب. 4. محافظة إدلب: بلدة سراقب. بلدة أريحا. 5. محافظة اللاذقية: مدينة اللاذقية على البحر التوسط.

(46) مصادر ميدانية لموقع باسنيوز الإخباري في 2019.10.28: «تجري اشتباكات اليوم الاثنين، بين الوحدات الكُردية والجيش التركي وميليشياته بالأسلحة الثقيلة في قرى أبوراسين، تل دياب، باب الخير، حمدوش، داودية، دردارا، سكرية، مباركية، مضبعة، ومريكيس بريف مدينة سرى كانية، وأنباء عن قتلى وجرحى من الطرفين».

على موضع قدم لها في المنطقة. من أجل تجنب وصول الجيش التركي إلى بلدة تمر ذات الأغلبية المسيحية الواقعة على الطريق الدولي M4، أعلنت قوات سوريا الديمقراطية أنها ستنشر (قوات المجلس السرياني العسكري والقوات الآشورية) التابعة له، في منطقة نهر الخابور بتل تمر[47].

بعد محادثات روسية مع الجيش التركي وقوات سوريا الديمقراطية، جرى التفاهم على انسحاب القوات التركية إلى مسافة أربع كيلومترات شمال الطريق الدولي M4، وانسحاب قوات قسد إلى مسافة مماثلة جنوبه، بحيث يصبح الطريق الدولي خط فصل بين الطرفين. وهكذا انسحب الجيش التركي من محيط الطريق الدولي -باستثناء القاطع الواصل بين بلدتي عين عيسى وتل تمر الذي استمر بتسيير دوريات مشتركة مع القوات الروسية عليه- ليصبح بذلك الطريق بمعظمه من حلب إلى القامشلي، باستثناء المقطع المذكور، تحت سيطرة نظام الأسد والقوات الروسية، أما القاطع الواصل من القامشلي إلى إقليم كُردستان العراق، فقد بقي تحت سيطرة قوات سوريا الديمقراطية[48]. لكن القوات الأميركية بقيت تستفيد من الطريق الدولي، فقد ظهرت يوم العاشر من تشرين الثاني/ نوفمبر 2019، مجموعة آليات عسكرية أميركية، متوجهة من حدود إقليم كُردستان إلى القواعد الأميركية في مدينة كوباني، مرورًا بسيطرة الأطراف المذكورة جميعها.

4. عودة نظام الأسد إلى مناطق الإدارة الذاتية

أعلنت (الإدارة الذاتية في شمال شرق سورية)، بعد مرور خمسة أيام على العملية العسكرية التركية، اتفاقها مع نظام الأسد على نشر قواته في المناطق الحدودية، بعد أن: «تصدت قوات سوريا الديمقراطية للعدوان التركي الغاشم بكل بسالة وشجاعة، وسقط كثير من الشهداء والجرحى للحفاظ على السيادة السورية»، بحسب بيان أصدرته الإدارة، قالت فيه أيضًا إنها: «اتفقت مع الحكومة السورية التي من واجبها حماية حدود البلاد والحفاظ على السيادة السورية، كي يدخل الجيش السوري وينتشر على طول الحدود السورية التركية، لمؤازرة قوات سوريا الديمقراطية لصد هذا العدوان، وتحرير المناطق التي دخلها الجيش التركي ومرتزقته المأجورين»، وتوجهت الإدارة إلى «كافة المكونات في شمال شرق سورية وبخاصة المناطق الحدودية»، لأخذ العلم بأن: «الانتشار جاء من خلال التنسيق والتوافق مع الإدارة الذاتية لشمال سورية وشرقها وقوات سوريا الديمقراطية»[49]. لكن الأمر المستغرب بعد كل التصريحات المتصالحة تجاه نظام الأسد، والقول بعقد اتفاق معه، كان إعلان قائد قوات سوريا الديمقراطية، بأنهم لا يمكن لهم الاعتماد على روسيا، لكونها حليفة الحكومة السورية وتنسق مع تركيا، ولأن السياسة الروسية تقوم على دعم النظام السوري، وليس حماية الكُرد في المنطقة»[50].

(47) بيان قوات سوريا الديمقراطية: تستمر قواتنا في عمليات الدفاع المشروع لمواجهة الهجمات المستمرة للجيش الغزو التركي والفصائل الجهادية الموالية له في المنطقة الشرقية والجنوبية لرأس العين، وبخاصة في منطقة الخابور في القرى السريانية الآشورية المحيطة ببلدة تل تمر.. 2019.11.02.

(48) موقع باسنيوز: مصدر كُردي سوري: M4 بات تحت سيطرة النظام والروس بعد الاتفاق مع تركيا. 2019.11.04.

(49) من بيان (الإدارة الذاتية في شمال شرق سورية)، الصادر في 2019.10.13: «يتيح الاتفاق مع نظام الأسد، تحرير باقي الأراضي والمدن السورية المحتلة من قبل الجيش التركي كعفرين، وباقي المدن والبلدات السورية الأخرى».. موقع الإدارة الذاتية في شمال شرق سورية على الانترنت.

(50) تصريح قائد قوات سورية الديمقراطية مظلوم عبدي لإذاعة صوت أميركا، نشرها موقع باسنيوز في 2019.10.22.

وهكذا، بعد سبع سنوات من إعلان حزب الاتحاد الديمقراطي نجاح (ثورة روج آفا) من كوباني، وتحرير المدينة من نظام الأسد، في عملية عدّها كثيرون استلامًا لها من النظام، وجاء ذلك في خطابٍ ناري ألقاه مسؤولٌ في الحزب من شرفة مبنى بلدية كوباني على عدد من المواطنين الذين كانوا يتجمعون أمامه، خرج وفدٌ من (الإدارة الذاتية لشمال شرق سورية) التابعة للحزب في كوباني، يوم الثالث عشر من تشرين الأول/ أكتوبر 2019 إلى مدخل المدينة الجنوبي، ليعلن في حضور عدد من المواطنين، بأنه جاء لاستقبال قوات نظام الأسد القادمة لاستلام المدينة هذه المرة. أعلن (رئيس المجلس العسكري في كوباني) الذي كان يحمل لقب (وزير الدفاع) في الإدارة الذاتية الديمقراطية[51]، وهو رئيس وفد حزب الاتحاد الديمقراطي لعدد من المواطنين المتجمعين هناك، عن وصول قوات النظام إلى كوباني مساءً للانتشار فيها. خطب المسؤول في حزب الاتحاد الديمقراطي في المواطنين قائلًا: «توجهنا إلى دمشق من أجل ذلك، بعد أن خذلنا جميع من توجهنا إليهم[52]. لقد جاء ذلك بعد يومٍ واحد، من الاتفاق الأميركي التركي على وقف إطلاق النار في المنطقة التركية الآمنة، القاضي بانسحاب قوات سوريا الديمقراطية من الحدود السورية مع تركيا. ارتفع علم نظام الأسد في الرابع عشر من تشرين الأول/ أكتوبر 2019، على معبر (مرشد بينار) الذي يربط مدينة كوباني بتركيا، ليختفي بذلك علم الحزب الذي أرَّق الأتراك طوال سنوات، بعد ارتفاعه على البوابة التي شكلت أهم رموز نفوذ الحزب، واستفاد منها على مختلف الصعد، وبخاصة في استقبال الوفود الزائرة والأعمال التجارية، واستعمال المواطنين لها في التنقل في أوقات فتحها.

بعد أن هدأت أصوات المدافع قليلًا، تحركت إدارة حزب الاتحاد الديمقراطي لبناء مخيمات للنازحين، كان لها طابع رمزي أكثر منه خدميًا، نظرًا إلى صغر حجمها بما لا يتناسب مع الأعداد الكبيرة للنازحين، فافتتحت بعد أكثر من ثلاثة أسابيع من بدء العملية العسكرية التركية، في الثاني من تشرين الثاني/ نوفمبر 2019، مخيم (واشوكاني) في بلدة التوينة الواقعة على بعد 12 كيلومترًا غرب مدينة الحسكة، على مساحة تقدر بـ600 دونم، ووصل عدد قاطني مخيم (واشوكاني) إلى نحو خمسة آلاف نازح، يسكنون ألف خيمة. بعد ذلك بثلاثة أسابيع، وفي الثاني والعشرين من تشرين الثاني/ نوفمبر 2019، انشأت الإدارة التابعة لحزب الاتحاد الديمقراطي مخيمًا للنازحين من منطقة تل أبيض، في بلدة (تل سمن) بريف الرقة الشمالي، ضم مئة خيمة، واستقبل المخيم في اليوم الأول أحد عشر عائلة، طالبت إدارة مخيم (تل سمن) وكالات الإغاثة بتقديم المساعدات للقاطنين فيه، وقالت إنها تخطط لرفع عدد الخيم إلى ألف خيمة[53]. في الوقت الذي كان حزب الاتحاد الديمقراطي يبني فيه مزيدًا من الخيم، ويستقبل مزيدًا من النازحين الكُرد من منطقتي رأس العين/ سري كانية وتل أبيض، في المخيمات التي أقامها في ريفي الحسكة والرقة، عاد لاجئون سوريون من المنطقة يقيمون في تركيا منذ سنوات إلى المدينتين، وأخذ عناصر من فصائل المعارضة السورية المسلحة التي شاركت الجيش التركي في عملية (نبع الزيتون)، يجلبون عائلاتهم للإقامة في المنطقة التي نزح منها الكُرد[54].

(51) تغير اللقب من (وزير الدفاع) إلى رئيس المجلس العسكري، بعد إعلان حزب الاتحاد الديمقراطي، عن سحب وحدات حماية الشعب من المدن الكُردية واستبدال مجالس عسكرية بها، تماشيًا مع اتفاق أميركي تركي سابق لإنشاء المنطقة الآمنة.

(52) تكون وفد الإدارة الذاتية الذي خرج لاستقبال قوات النظام، كلٍّ من: (رئيس مجلس كوباني العسكري) عصمت شيخ حسن، و(مسؤول هيئة الداخلية) بوزان خليل و(رئيس مقاطعة كوباني) مصطفى إيتو. قال «رئيس مجلس كوباني العسكري» في مقطع فيديو، موجهًا كلامه إلى تجمع للمواطنين في 2019.10.13: «بذلنا ما في وسعنا، ووجهنا نداءنا إلى الجامعة العربية، وإلى مجلس الأمن الدولي، وإلى القوى الدولية، لكن لم يكن هناك استجابة. من أجل ذلك توجهنا إلى دمشق والتقينا مع النظام، ومن المقرر وصولهم اليوم إلى كوباني مساء اليوم».

(53) وكالة هاوار التابعة لحزب العمال الكُردستاني: الإدارة الذاتية تُنشئ مخيمًا في تل السمن لنازحي كري سبي، 2019.12.26.

(54) راديو الكل: «نازحون يعودون إلى مناطقهم شرق الفرات عبر بوابة تل أبيض»: عاد نازحون كانوا يقيمون في ريف حلب، إلى مناطقهم شرق

الخاتمة

لعبت قرارات الإدارة الأميركية دورًا أساسيًا في مسيرة حزب الاتحاد الديمقراطي ومصير إدارته، في متابعة الحزب رحلة صعوده في سورية، ومن ثم في خسارته مناطق نفوذه، وكان يمكن للحزب أن يبقى مسيطرًا على المنطقة الحدودية السورية مع تركيا، وتتطور إدارته إلى أشكال أكثر تقدمًا، لو لم يكن التعاون الأميركي معه مبنيًا على أساس محاربة تنظيم داعش وحده، وقام بوضع خطط على غير هذا الأساس. لقد زاد تعاون القوات الأميركية مع وحدات حماية الشعب من أسهم حزب الاتحاد الديمقراطي، لكن الحزب لم يقم باستثمار أسهمه في الموضع الصحيح، ولم يبنِ إستراتيجية تأخذ التغيرات في المنطقة وبين اللاعبين فيها بالحسبان، ما جعل القرارات الأميركية التالية، سببًا لخسارته ومن ثم خسارة معظم ما كان حصل عليه، قبل ظهور القوات الأميركية في سورية، وعقدها تحالفًا معه.

استعاد حزب الاتحاد الديمقراطي السيطرة على مدينة كوباني/ عين العرب من تنظيم داعش بمساعدة التحالف الدولي الذي تقوده القوات الأميركية لمحاربة التنظيم، وخسر مناطق تعد معاقله الرئيسية وعلى رأسها عفرين، وسيطر بالمقابل على مناطق نفوذ التنظيم وبخاصة في الرقة وريف دير الزور، وأعلن عن إدارات مدنية فيها، لكن سيطرته عليها بقيت مثار جدل، كونها لا تعد حواضن حقيقية له. ومع التذكير بسيطرة فصائل الجيش السوري الحر في عقب العملية العسكرية التركية على منطقة عفرين، وانتقال فصائل الغوطة الشرقية مع حاضنتها إلى المنطقة، وعودة نظام الأسد إلى مناطق نفوذ الحزب، برعاية روسية وموافقة أميركية تركية، يمكن رؤية جانب من سياسة صب الزيت على النار السورية التي اعتمدها اللاعبون الرئيسيون خدمة لمصالحهم.

الفرات، اليوم الأربعاء، عبر معبر تل أبيض بريف الرقة، بعد نحو شهر من سيطرة الجيش الوطني السوري على هذا المعبر الحدودي مع تركيا، ضمن عملية نبع السلام». 2019.11.20.

مركز حرمون للدراسات المعاصرة هو مؤسسة بحثية ثقافية تُعنى بشكل رئيس بإنتاج الدراسات والبحوث المتعلقة بالمنطقة العربية، خصوصًا الواقع السوري، وتهتمّ بالتنمية الاجتماعية والثقافية، والتطوير الإعلامي وتعزيز أداء المجتمع المدني، واستنهاض وتمكين الطاقات البشرية السورية، ونشر الوعي الديمقراطي، وتعميم قيم الحوار واحترام حقوق الإنسان.

- أبحاث سياسية
- أبحاث اجتماعية
- أبحاث اقتصادية
- ترجمات
- أبحاث قانونية

www.harmoon.org

مركز حرمون للدراسات المعاصرة
Harmoon Center for Contemporary Studies
Harmoon Araştırmalar Merkezi
Doha, Qatar Tel. (+974) 44 885 996 PO.Box 22663
Istanbul, Turkey Tel. +90 (212) 813 32 17 PO.Box 34055
Tel. +90 (212) 524 04 05